هوامش

كشفت دراسة ضخمة للحمض النووي القديم عن مكان ترويض الخيول، حوالي عام 2200 قبل الميلاد على سهوب وسط أوراسيا، بالقرب من نهري الفولغا والدون

الحصان هو الحيوان الأقرب للمزارعين والملوك المحاربين على حد سواء (Getty)

ترويض الخيول
أصل العلاقة مع الإنسان

محمد الحداد

ارتبط تاريخ البشرية لفترات طويلة بالخيول. على ظهر الخيول قاتل البشر في حروبهم المختلفة، وتاجروا وهاجروا مستغلين قوة الحصان وصلابته وسرعته وخفة حركته.

كما استخدم كمصدر غذائي في بعض الثقافات وكسلاح عسكري وأداة من أجل التنقل بين الأماكن المختلفة. لقرون طويلة، كان تاريخ وموقع ترويض الخيول أحد أكثر الألغاز صعوبة في عصور ما قبل التاريخ.

مؤخراً، كشفت دراسة ضخمة للحمض النووي القديم عن مكان تدجين الخيول، حوالي عام 2200 قبل الميلاد على سهوب وسط أوراسيا، بالقرب من نهري الفولغا والدون في ما يعرف الآن بروسيا. في غضون بضعة قرون فقط، انتشر أحفاد هذه الخيول بسرعة في جميع أنحاء آسيا وأوروبا، ليحلوا محل جميع مجموعات الخيول البرية السابقة تقريبا.

حيوان مؤثر

ظهرت الخيول المستأنسة للمرة الأولى في منطقة «الدون - فولغا» قبل 4200 إلى 4700 عام قبل أن تنتشر إلى المناطق المجاورة في غضون بضعة قرون وفي النهاية إلى العالم. تؤرخ الدراسة التي نشرت في مجلة Nature يوم الأربعاء 20 أكتوبر/تشرين الأول الجاري وأعدها فريق مكون من 162 باحثا متخصصا في علم الآثار وعلم الوراثة القديمة واللغويات، لبعض الهجرات الجماعية التي تم توثيقها وراثيا في مجموعات بشرية سابقة في المنطقة. وقال لودفيك أورلاندو، الباحث في مركز دراسات الأنثروبولوجيا والجينوم في جامعة «بول ساباتير - تولوز» إن السبب وراء اهتمامنا الكبير بالخيول هو أنه يمكن اعتبارها على الأرجح واحدة من أكثر الحيوانات التي أثرت في تاريخ البشرية. كما غيرت الخيول بشكل كبير الطريقة التي خضنا بها الحروب وأثرت على الإنتاج الزراعي حتى أوائل القرن العشرين حين تولت المحركات عملية النقل.

عينات الدراسة

وأضاف أورلاندو في تصريح لـ«العربي الجديد» أن التأريخ بالكربون المشع قدم معلومات حول وقت موت هذه الخيول، وقدم علم الآثار الميداني معلومات عن السياقات الثقافية المرتبطة بها. باستخدام هذه البيانات، أمكن للباحثين تحديد بنية تعداد الخيول قبل الاستئناس وفي أثناءه وبعده. حلل الفريق الحمض النووي القديم المأخوذ من 273 عينة من عظام الخيول من جميع القارات، على مدى 50 ألف عام من تاريخ الإنسان والخيول. خلال معظم تلك الفترة، كانت مجموعات الخيول البرية المتنوعة وراثيا منتشرة في جميع أنحاء أوراسيا.

لكن بداية من عام 2000 قبل الميلاد، بدأت الاختلافات الوراثية بين مجموعات الخيول في التلاشي، بحيث أصبحت جميع الخيول المحلية من إسبانيا إلى منغوليا تنحدر من أصل واحد يعود إلى نفس المنطقة، والتي تتبعها الباحثون إلى أكثر من 4200 عام من العينات التي عثر عليها في سهوب شمال منطقة القوقاز.

باختصار

حلل الفريق الحمض النووي القديم المأخوذ من 273 عينة من عظام الخيول من جميع القارات، على مدى 50 ألف عام من تاريخ الإنسان والخيول

■■■

ظهرت الخيول المستأنسة للمرة الأولى في منطقة «الدون - فولغا» قبل 4200 إلى 4700 عام قبل أن تنتشر إلى المناطق المجاورة

■■■

الخيول، على الأرجح، واحدة من أكثر الحيوانات التي أثرت في تاريخ البشرية

لحظة التأسيس

وجد الباحثون أن اثنين من الجينات كانا مختلفين بشكل واضح في أسلاف الخيول الحديثة وربما ساعدا في هذا التوسع السريع. في الدراسات التي أجريت على البشر والفئران، تؤثر هذه الجينات على القدرة على التحمل والقدرة على تحمل الوزن والطاعة. وأوضح أورلاندو أن التربية الانتقائية من البشر للخيول يمكن أن تكون قد أعادت دمج عاملين جديدين لم يكونا موجودين سابقا في أي حصان. ووفقاً للباحث، أدى ذلك إلى خلق حيوان كان من السهل التفاعل والتحرك معه، وكانت تلك هي اللحظة التي أسست لتاريخ علاقة الإنسان بالحصان، ومن بعدها فإنّ كل سلالات الأحصنة هي أليفة تجاه البشر.

واستطرد أورلاندو: «رغم أننا بتنا نعرف زمان ومكان استئناس الخيول لأول مرة، إلا أن العملية الكاملة لتوسعها حول العالم وتاريخ تكاثرها إلى مئات الأنواع المختلفة التي نعرفها اليوم تظل مثيرة للجدل». بالإضافة إلى ذلك، كان الحصان هو الحيوان الأقرب للمزارعين والملوك المحاربين على حد سواء. إذ عثر على حفرياتها في السياقات الريفية والحضرية على حد سواء، وفي بيئات متنوعة للغاية، من أبرد نطاق في سيبيريا إلى صحارى وسط آسيا.

وأخيراً

دولة ديمقراطية «ولاك»

خطيب بدلة

يستخدم أهالينا كلمة «ولاك» لردع الطفل، وتصغيره أمام نفسه والآخرين. وعندما يثور الأب، لا يكتفي بزجر ابنه، وشتمه، بل يشمل الأطفالَ (أملَ المستقبل الواعد) جميعَهم بقوله: يلعن أبو هالجيل. ويقال للبنت «وليك»، حتى بعد أن تتجاوز سنّ الطفولة، وتصبح مؤهلة للزواج... أهل مدينة إدلب يعشقون التنويع، لذلك يشتقون من «وليك» كلمةً توحي للمرء بأن أصلها فرنسي، هي: واكيه. ويطلقون على الطفل، أحياناً، لقب «عَجي»، وتعني أنه دنيء، يندفع نحو الطعام من دون تحفظ أو تعفّف، وأهل ريف معرّة النعمان يطلقون على الفتاة التي في سنّ الزواج لقب «عجية»، ولعلّ أول جملة يقولها الشاب لوالدته بعدما ينتهي من الخدمة العسكرية: أنا بودّي أتزوّج، قومي نَقّي لي عجية. والشاب، هنا، لا يقصد أن تكون البنت دنيئة، بل صغيرة بالسن، وبهذا يكون معنى «العجية» محبباً.

على ذكر العسكرية، فوجئنا، نحن الشبان الذين ساقنا قدرُنا أحمق الخطى إلى الخدمة في الجيش العربي السوري (المعروف باسم جيش أبو شحاطة) بأنّ الضباط، وطلاب الضباط المتطوعين، في معرض احتقارهم إيانا، يخففون كلمة ولاك لتصبح «ولاه»... وكاتب هذه الأسطر يعتقد أنّ اختراع هذه الـ «ولاه» يعود إلى الثمانينيات، عندما أسّس رفعت الأسد سرايا الدفاع، وأطلق كلابه في الشوارع، على حد تعبير الشاعر الراحل أحمد فؤاد نجم... وشاع تداول لفظة «ولاه»، منذئذ، في عموم أنحاء سورية، وصارت، في الأوقات اللاحقة، تأتي مركبة كقولهم «ولاه حقير»، «ولاه كرّ»، وكان بعضهم يستخدمها بمنتهى الهدوء، كما لو أنه يخاطب الآخر بكلمة مستر، أو أفندي، أو مسيو، فتراه يسأله، وهو مبتسم: أنت من أي بلد ولاه كرّ؟ وهنا لا بد أن نتذكر النكتة التي رواها الشاعر الظريف، لقمان ديركي، أن ضابطاً من سرايا الدفاع قال لمواطن: انزل عن الرصيف ولاه حمار. وكان ذلك المواطن ذا عين حمراء، فقال للضابط: لا تقل «رصيف».

في الستينيات، حينما كنتُ في المدرسة الابتدائية، ثم في الإعدادية والثانوية، لم تكن مدارسنا مزوّدة بخرائط ومجسّمات لشرح دروس الجغرافيا، أو مخابر لإجراء تجارب الفيزياء والكيمياء. كانت، باختصار، خاليةً من كل أنواع وسائل الإيضاح. لكن كانت لكل صف عصا من خشب، يُكتب عليها اسمه، ورقم الشعبة، بالإضافة إلى العبارة الشهيرة «العصا لمن عصا».

وكان بعض المعلمين يدلِّعون عصيَّهم، فيطلقون عليها ألقاباً من قبيل: الصفرا اللئيمة، الضاروبة، الطرّاقة، أم الطايع... ومعلم الصف الرابع أسمى عصاه «بنت يوسف الثقفي». وكانت عصيّ الصفوف كلها تودَع في غرفة المستخدم «الآذن»، فإذا أذنب تلميذٌ ما، وكثيراً ما كنا نذنب، لأننا لا نعرف ما هي الأشياء التي ترضي معلمنا، أو تغضبه، يرسل المعلم عريفَ الصف إلى غرفة الآذن، ليقول له: أعطني عصاية الخامس شعبة ثانية، مثلاً.

ولم يكن المعلم يخشى في ضربنا على أيدينا أو أقدامنا لومة لائم، لأن كل واحدٍ من آبائنا المحترمين كان يصطحب ابنه، في مطلع العام الدراسي، إلى المدرسة، ويسلّمه لمعلم الصف مردّداً العبارة التقليدية الشائعة «اللحمُ لك، والعظمُ لنا».

يعني أنه يزعل من المعلم في حالة واحدة، أن يؤدّي الضرب إلى كسر في العظام. وأذكر أن أحد زملائي في الصف الثالث، من كثرة ما ضربه المعلم على يديه المقرنستين من البرد، خانته مثانته، فملأ ثيابه بالبول. وفي حالة معاكسة، تمادى أحد المعلمين في ضرب تلميذ. وفي اليوم التالي، نصبت مجموعة من أقارب التلميذ كميناً للمعلم، واستمرّوا يضربونه حتى تحوّل إلى ممسحة.

يتذكّر محسوبكم هذه الأحداث كلها وهو يقرأ كلاماً لأحد المعارضين يقول فيه إن إسرائيل لن تسمح بقيام دولة ديمقراطية في سورية. يا سيدي، دعك من إسرائيل وأميركا وهذا كله، هل نريد - نحن السوريين - إقامةَ دولة ديمقراطية؛ بجد؟

> الضباط، وطلاب الضباط المتطوعون، في معرض احتقارهم إيانا، يخففون كلمة ولاك لتصبح «ولاه»

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**